

A painting featuring a man with a dark beard and mustache looking directly at the viewer, flanked by three women. The woman on the left has blonde hair, the middle one has dark hair, and the woman on the right has dark hair. They all have serious, intense expressions.

خطيئتي تمشي على الأرض

عبدالباقي المغربي

انفتحت أبواب الجامعة على مشادة بين صاحب السيارة الفارهة وآخر فقد أوشك أن يصدمه بها وشاتمه بأصبح أو صاف البشر ورد الآخر بغضبة قاتلة لو لا أن أمسكه الأقران وجذبوه فتختلط قدماء المشى عابرا إلى مدرج المحاضرات بكلية الهندسة فصدمته إداهم بحقيقةها عند صعودها درجات السلالم وكانت مازالت به فورة الغضب من الصدمة السابقة فانتصب لمعركة جديدة، ولكن عادت أنفاسه الحارقة في صدره وتهاوت قبضاته بياياءة اعتذار من أنامل تفوح عطرا كثمر النبق

- آسفه sorry

فاحتقرت ذاته خجلًا من غضبه تجاهها والتقوى في درس التساميم واعتزل بركته عن الفهم وقد العقل يقظته فإنها بحسن طلتها أبدلت ناره بردا وأسكنت لهيب غضبه بإشراقه في العين ولمسعة في القلب، وأكمل المحاضرة وكأنه ما حضرها، وغادر القاعة بغير فهم وإن استحان فرصة خروجها فاعتذر عن سوء أدبه

- أنا متأسف أني كنت قليل الذوق .

ولكنها بادلته باعتذار لكتها هي الملامة :

- لا دا أنا اللي متأسفة .

فففي عنها ذلك وإن كانت في حقيقة الأمر قد تعمدت هي ذلك فهو الأول على الدفعه من عامها السابق والشارح لكل ما صعب فهمه على الآخرين وكانت كثيراً ما تتحين الفرص للتعرف به، لعلها أن تفوز بصحبته ولا تحرم من دروس شرحه والتي يتجمع فيها مع زملاءه مستعيدها دروس المحاضرة بطريقة أبسط وأفهم من استاذ المادة وهي التي صعدت للسنة الحالية بمادتين بعد تفاهمات لدى هيئة التدريس من بعض أقاربها، وكانت ذات جمال فائق وثراء تحسدوا عليها جميع فتيات الجامعة . ومنذ هذه الصدمة كثيراً ما جال شackson لعله يجدها يوماً ولكنه ما بصرها ثانية لعدة أيام .

وانتصف العام وسبقت شهرته فى الشرح والتحليل الأستاذة وتقاطر حوله الزملاء لعلهم يخرجوا ببعض ما كتب أو يستقروا جزء مما فهم ويعطى لكل بقدر فهمه ولا يمنع نفسه عن أحد حتى أرسل اليه يوما عرضا سخيا مقابل شروحا مخصوصة فرفض منها لمن أراد منه علمًا فلياته مع الآخرين وعاودته المرسلة بطلب دروسا لهن فى أيما مكان يحدده فرفع حاجبيه اليهن وأدرك المرسلة وكانت بعيدة عنهم تقف مع أحدهم ،فهى لم تتعد أن يرفض رغبتها أحد فرد .

- للأسف ليس لدى وقت ، بينما الملح لعتبر وهى التي أنتهت بالعرض أنها يمكنها أن تحضر مع مجموعة زينب وهى زميلة أخرى تسكن معه فى نفس الحي ومجموعتها تضم طالبات فقط، وبعد الانتهاء هم بالخروج فاستبقته معرضة جانب الطريق وثمر وجهها الباسم على عودها الباشق خدره عن الحركة طالبة منه بنفسها أن يساعدهم فى بعض الدروس:

- ممكن تتكرم وتساعدنا فى شرح بعض المحاضرات وكاد يللى من فوره طلبها لولا أن قاطعهما صاحب السيارة حاملا لها مذكراتها التي استطاع بقدرتها الحصول عليها قبل الآخرين ، وأخبرها بأنهم ليس بحاجة لشروح أحد فبإسقاطهم إقناع جميع الأستاذة بدرس منزليه وكان زيتا مغليا أريق عليها فتركهما بلا رد ورمقها بنظرة وانصرف ، فاغتاظت من ذاك الذى قطع الطريق عليهما وكان كريح السموم وانطلقت خلفه طالبة سماع الرد ووقف وأدار نفسه وهم بالإجابة فعاود الآخر كلامه فأشار إليها بأن قول هذا هو الرد، وتركهما وانصرف وانهدت كمدا فخاطبها مستفسرا بأن تأخذ كتب الأستاذة التي استلبها منهم

- اتفضلى مذكراتك أنت أول واحدة تستلمهم فى الكلية ولا تدرى كيف تحصلت عليهم ، واحتقرته بعينيها واحمرت

وجنتيها غضباً وجزت على أسنانها وأمرته بأن يأتي بها إليها وذهبت، وأردها متأملاً أن يلتقيا في المنزل أو النادى بأحد الأساتذة لشرح مادته لهما فأومأت اليه متشرحة بيدها أن فيما بعد

وكان بدر قد وقف مستشعراً جلافته معها واستدار ليصحح موقفه ولكن قد انقضى الوقت، ورأها ترمي نفسها داخل سيارتها وتديرها بسرعة كاد معها صوت العجلات يصعق المحيطين وحاول ابن خالتها صاحب السيارة الفارهة اللحاق بها بلا طائل وسرعان ما غرق "بدر" وسط الآخرين الذين أخذوه جانبياً ليحدد لهم توقيتات المراجعات فقسمهم بعضاً بالكافيريا المقابلة الجامعة وأخرون بإحدى الحجرات التابعة لقهوة بحى السيدة المنطقة التي يسكن بها ومجموعة ثلاثة يلتقيهم بحديقة قرب معهد التعاون ثم انصرفوا وركبوا قطار المترو، وكثرة من الطالبات تحيطه حتى انتهى القطار برمسيس وأنزلق منهم إلى رصيف المحطة واعداً باستكمال المتبقي كما حدد، وألاح لهم بيده موعداً.

وأظهرت نتيجة الدور الأول للسنة الرابعة تفوقه ونجاح من استمع اليه في شرحه بعكس الآخرين وصاروا جماعتين، إساتذة المواد في إحدى قاعات النادى العريق بعدما جئت إليهم بالعضوية والثانوية في السيدة حيث يلتقيون بعد صلاة الجمعة، فزينب تستضيف مجموعة عند الحاج عطية بمخزن البيت والذى جعل نصفه الآخر المطل على الشارع الأمامى قهوة وتأتيهم من عند دكان أمها نفيسة بائعة الخضروات ببعض الفاكهة أو ترسلها الأم إليهم وهم متجمعون من بعد العصر حتى المغرب غير الذى ترسله إلى الجمع الأول بالسطوح الذى يسكن به بدر وهم مجموعة الشباب من نفس المنطقة وتأتيهم ببعض الخضرة فيتناولون الفول والفلافل بعدما تنتهي صلاة الجمعة وتدعوا للكل، وتلتقيه ثانية بدعوات مماثلة عند مغادرتهم قبيل المغرب بعد فراغه من درس مجموعة الفتيات وهى تلميم فرش حضرتها وتسبقها ابنتها للبيت بعدما تعرج الأم لأخيها حاملة بعضا من خضرواتها لأهلها، وسرعان ما تداعبهم زينب من شرفة منزلها

- على الله يكون بفaidة

ويداعبونها برد مماثل وستلتقي فرحا بعد نظرات باسمة تثبت بينهما فور عودته أمام منزلها بعد مغادرة الجميع وما فترت أنها تحظى وهي غارقة في صبو نشوشها، وبرز في نهاية العام بدر وسعدت وسط الجمع زينب بتفوقها مع من تتمناه، وما استراعت الأخرى برسوبها في مادتين كعادتها عندما جاءها الخبر وهي بالنادى وبعد تخطيها تلكم السنة بدأت تشعر برغبة في معرفة حياة الآخرين التي تجعلهم يتفوقون رغم الفوارق التي بينهم فقررت لأول مرة زيارة مقام السيدة زينب ومن بعدها ذهبت إليهم ولأول مرة تدخل الحديقة مع عبير وتحظهم في جانبها مجتمعين حوله وجذبتها عبير بلمرة إشارة إليهم أنها سياخذون جولة بالحديقة وكم أعجبتها المناظر أكثر من ناديها

وعادتها قدماها حيث يجلسون فوقها بالمحاذاة بعيد عنهم
محاولة لا تعطيهم انطباعا بأنها تلحظهم وتبادل عبير التحية
بزميلات لها ثم تقدمت إحداهن لترحب بهما وتدعوهما للجلوس
معهم

- تعالوا تعالوا افضلوا اجلسوا معنا

وتفتست الصعداء أن عرض أحدا عليها المشاركة وكانت تخشى
الا يعيرها أحدا اهتماما، وساعلت التي جاءت وهى تتقدم معها
عن عدم رؤيتها بالنادى منذ نهاية العام المنقضى؟ وألمحت
إليهما أن تخبرهما لاحقا، وكانت "اسمهان" صديقتها من
أسرة مرتفعة الحال أتاح لها مزاملتها بالنادى والبقاء مع
الآخرين فى جمعهم، وتنعمت خائفة من تكرار ما حدث العام
الفائت عند رفضهم مشاركتها الجلوس معهم لسوء تفاصيم حدث
مع بعض الفتيات إحساسا بالمغایرة الإجتماعية عند دخولهن
الجامعة فى بعض المرات

- لا ملش المرة دى خليها مرة تانية يمكن حد يتضايق
، ولكنها أخذتهما بقليل محایلة وعرضت طلبا للآخريات بأن
يسمحوا لصاحبتيها بالجلوس معهم فما رفض أحد إلا قليلا
تمتموا بغير كلام مسموع وما بدا اعتراضا ظاهرا منهم
وخاطبتهما صديقتها " Ubir":

- بس بعد إدن الباشمهندس بدر فرفع ناظريه إليهما
وكأنه ما كان يتبعهما ، وسارعت صديقتها مساندة له
بألا يمانع جلوس عبير ونور معهم ورفع ناظره وكأنه
لأول مرة يسمع اسمها بهذا الترتينم، مجيبا :

يسعدنى جدا انضمماهما، مارجحا كفه لهم بالجلوس
واستدارت نور حولها لتجد لها شيئا تجلس عليه
فافسحوا لها مكانا وكانوا جلوسا على خضرة الارض
فتجالست وجاءتها نشوة غريبة بجلوسها أول مرة على
بساط الأرض كما الآخرين وابتعد بناظريه عن متابعتها
ولكن عانده نظره فلمحها تجلس على قصبتى ساقيها

وصادف نظرتها إليه، ثم بادأها برفع التكاليف بينهم، وسارع باستكمال ما بدأه وكان عن تصميم المباني فوق الأرض الملحوظة وبجوار البحر وصار هناك سؤال وجواب وشرحا وإعادة وتكرار، ثم تساءل أحدهم عن المنهج الصعب والأمثلة المركبة في الامتحانات مذكرا

بعدد الطلبة الراسبين في بعض تلك المناهج، فجاوبه :

لقد تجمعنا منذ العام الثاني لأجل المشاركة لبعضنا كل واحد فيما فهمه أو سجله من محاضرات ورغيتنا في النجاح والتفوق هي التي تدفعنا لذلك دون الآخرين الذين قد تأتيهم أسئلة الامتحانات مسبقا وأحيانا إجاباتها ثم انحبس الكلام في حنجرته عندما ذكرتهم بها عندما استأندت مسلمة عليهم بالرحيل

- طيب سلام بقى، أهنا هنمسي

وتوقف عندما شعر بثقل قوله عليها وهو لم يكن يقصدها به وسارعت تتبعها عبير ولمحت "اسمهان" ذلك فلحتت بهما وهونت عليها بأنه ما قصد ذلك، وارتاحت نور قليلا وعاودت التحية لهم وهي تغادر واستراح هو عند شعوره بفهمها وعاود مشاركتهم نقاشهم ثم سرح بخاطره إلى يوم الرحلة للأهرامات عندما كانت تسير بجواره مستفسرة عن سر بناء الهرم وكان يوضح لها بعض ما قرأه عن ذلك، وكانت تلك أول محادثة ودية بينهم بعد عدة محادلات صادمة سابقة داخل الكلية بسبب قريبيها، وفجأة سمع من يوقيطه ويهزه

ويذكره الحاضرون بجلوسهم معه

- إيه يا باشمهندس وصلت لفين، وحاول تدارك الموقف بأنه كان يفكر في خاطرة أنته بإنشاء شركة مقاولات كبرى أو مكتبا هندسيا يضمهم جميعا، ورجى الجميع منه ذلك واستحسنوا الفكرة.

وهناك في الجامعة التقاهـا "معتز" مستفسراً عن تغييـها وأنه مازال يبحث عنها حتى وجدـها وسألـته عما يحتاج وكأنـها ملتهـ وملـت الحديث معـه، فذـكرـها بحملـة الدـعـاـية لـاتـحاد الطـلـاب الـذـي تـرـشـح رـئـيسـاـلهـ، وـمـرـ من جـوارـهمـ "سـعـيدـ" سـائـلاـ عنـ "بـدرـ" والـآخـرـين

- لمـ تـرـوا بـدرـ وـصـحبـتهـ ، فـردـ مـغـاظـاـ

- ولـمـاذـا تـبـحـثـ عـنـهـ هـنـاـ؟ وـبـادـرـتـهـ :

- بـأـنـهـ إـمـاـ بـالـكـافـتـيرـيـاـ أـوـ المـكـتبـةـ ، وـاسـتـقـبـحـ وجـهـهـ مـسـتـغـرـباـ مـنـ رـدـهـ عـنـ مـكـانـهـ

- وـأـنـتـ إـيـهـ الـىـ عـرـفـكـ ؟ فـأـجـابـتـ عـبـيرـ التـىـ أـتـتـهـ بـأـنـ الـكـلـ يـعـرـفـ بـأـنـهـ يـتـجـمـعـونـ هـنـاكـ يـوـمـيـاـ وـجـاءـهـمـ سـعـيدـ مـذـكـرـاـ لـهـمـ بـحملـةـ الدـعـاـيةـ الـاـنتـخـابـيـةـ لـبـدرـ وـهـوـ رـئـيسـ الـاـتـحادـ فـىـ الـعـامـ السـابـقـ وـعـودـةـ "معـتزـ" لـمـنـافـسـتـهـ مـرـةـ أـخـرىـ وـهـنـاـ تـذـكـرـ بـدرـ تـلـكـ التـدـعـيمـاتـ التـىـ قـدـمـتـ لـهـ خـاصـةـ بـعـدـمـ أـخـبرـتـهـ بـعـضـ الـزـمـيلـاتـ بـفـضـلـ نـورـ فـىـ تـحـقـيقـ نـجـاحـهـ وـأـشـنـىـ عـلـىـ صـدـيقـهـ "نـورـ الدـيـنـ" وـصـعـقـهـ الـخـبـرـ بـأـنـ مـنـ يـقـصـدـونـ هـىـ "نـورـ" وـلـيـسـ نـورـ الدـيـنـ جـارـهـ وـصـدـيقـهـ وـتـذـكـرـ بـعـضـ الـمـوـاـفـقـ مـنـهـ ، وـهـنـاـ أـتـهـ عـبـيرـ تـطـلـبـهـ لـلـكـشـفـ عـنـ سـيـارـةـ نـورـ حـيـثـ أـنـهـ مـتـعـلـلـةـ وـهـوـ لـدـيـهـ خـبـرـةـ مـنـ الـعـلـمـ بـورـشـةـ السـيـارـاتـ مـنـذـ صـغـرـهـ ،

- خـلـيـكـ هـنـاـ يـاـ سـعـيدـ وـكـمـ أـنـتـ وـأـنـاـ ذـاهـبـ أـرـىـ مـاـ يـحـتـاجـونـ وـأـنـهـ سـوـفـ يـسـتـطـلـعـ أـمـرـ السـيـارـةـ ، وـسـرـعـانـ مـاـ أـدـرـكـ أـنـ مـاـ بـهـاـ شـيـءـ مـمـاـ قـالـتـهـ وـاستـوـعـبـ الـمـخـفـيـ مـنـ الـأـمـرـ، فـتـظـاهـرـ بـالـبـحـثـ عـنـ الـمـشـكـلـةـ وـمـنـ ثـمـ كـاـنـهـ حلـهـ، فـاقـتـرـبـاـ مـنـهـ وـطـلـبـتـ عـبـيرـ أـنـ يـسـمـحـ لـهـاـ بـحـضـورـ بـعـضـ دـرـوـسـهـ مـعـ الـآخـرـيـاتـ فـوـافـقـ ، وـأـلـمـحـتـ هـىـ لـهـ كـيـفـ يـوـفـقـ بـيـنـ أـنـهـ يـعـطـىـ شـرـوـحـاـ لـلـطـلـابـ بـدـوـنـ مـقـابـلـ وـيـعـلـمـ فـيـ وـرـشـةـ وـيـمـكـنـهـ أـنـ يـدـرـ دـخـلـاـ مـنـ ذـلـكـ .

- الحـمـدـلـلـهـ دـىـ مـنـحـةـ مـنـ اللـهـ فـمـذـ أـتـيـتـ مـنـ الصـعـيدـ طـفـلاـ وـأـنـاـ عـنـدـيـ اـشـتـقـىـ عـشـرـ عـامـاـ مـعـ زـوـجـ أـخـتـيـ اـبـنـ عـمـيـ وـأـقـمـنـاـ بـمـنـطـقـةـ السـيـدةـ

بعدما توفي أبي وتزوجت أخواتي قررت أمي أن اعتمد على نفسى وأنا كنت كذلك أفضل أن أتحمل مسئولية نفسى أما شرحى للدروس مجانا فهى شكر الله على نعمة الفهم التى حبانى بها، وتنظاهرت نور بحاجتها للمغادرة بعدما لاحظت أن الآخرين يراقبونهم من بعيد فبادرها مستفسرا عن حالها فى المذاكرة وعرض المساعدة إن احتاجت ، وتبسمـا ومدت يدها إليه شاكرا له وأمسكها وشعرـا لأول مرة بتـيار يسرى بينهما وأفـاقـا على صوت "المزعـج " ابن خالتها الذى ظل يبحث عنها طويلا بعدما تركـتـاه ، فـبـهـتـ عـنـدـمـا وجـدـهـما يـقـفـانـ مـعـا فـعـمـدـ علىـ إـهـانـتـهـ قـائـلاـ :
شكـراـ ياـ أـسـطـىـ المـهـمـ مـتـكـونـشـ بـوـظـتـ حـاجـةـ عـلـشـانـ دـىـ عـرـبـيـاتـ هـاـيـ تـكـ غـيـرـ اللـىـ اـتـعـودـ عـلـيـهـ فـىـ وـرـشـةـ الـمـيـكـانـيـكـاـ وـلـهـ توـكـيلـ خـاصـ يـكـشـفـ عـلـيـهـ بـتـكـنـوـلـوـجـياـ رـقـيـةـ ، وـهـنـاـ تـدـخـلـتـ نـورـ وـأـنـهـتـ الـلـقـاءـ قـبـلـ أـنـ يـتـطـوـرـ لـنـزـاعـ جـدـيدـ بـيـنـهـماـ وـاسـتـسـمـحـتـ بـدـرـاـ وـدـلـفـتـ لـلـسـيـارـةـ جـاذـبـةـ عـبـيرـ ، وـسـارـعـ الـآـخـرـإـلـىـ سـيـارـتـهـ لـلـيـلـحـقـهاـ بـعـدـمـاـ تـجـمـعـ أـصـحـابـ بـدـرـ مـنـ حـولـهـ خـشـيـةـ تـكـرـارـ السـوـابـقـ بـيـنـهـماـ ، وـأـظـهـرـتـ نـتـيـجـةـ اـنـتـخـابـاتـ اـتـحـادـ الطـلـابـ تـفـوقـ بـدـرـاـ وـلـكـنـ أـعـلـنـ فـوزـ مـعـتـزـ بـهـاـ ثـمـ لـحـقـهاـ بـاـنـتـخـابـهـ رـئـيـسـاـ لـاـتـحـادـ الجـامـعـةـ . وـحـزـنـ الـجـامـعـيـةـ صـمـمـتـ عـلـىـ دـعـمـ اـنـجـاحـهـ لـمـاـ سـبـبـهـ لـهـاـ مـنـ إـحـرـاجـ العـامـيـنـ السـابـقـيـنـ مـعـ الـحـكـومـةـ وـبعـضـ السـيـاسـيـنـ عـنـدـمـ أـقـامـ بـعـضـ الـنـدوـاتـ التـىـ حـضـرـهـاـ رـمـوزـ مـنـ الـمـعـارـضـةـ وـهـوـجـمـتـ فـيـهـاـ الـحـكـومـةـ وـالـنـظـامـ .

وـذـهـبـتـ يـوـمـاـ آـخـرـ بـصـحـبـةـ صـدـيقـتـهـ إـلـيـهـ بـوـرـشـتـهـ مـعـتـذـرـةـ عـنـ الـأـحـدـاثـ التـىـ رـافـقـتـ الـاـنـتـخـابـاتـ وـمـنـهـاـ اـتـهـامـهـ مـنـ قـبـلـ إـدـارـةـ الـجـامـعـةـ بـسـبـبـ شـكـوىـ وـالـدـهـاـ بـمـحاـولـةـ التـحرـشـ بـهـاـ ، وـكـانـ وـالـدـهـاـ قـدـ أـوـعـزـ بـهـذـهـ الشـكـوىـ لـعـمـيدـ الـكـلـيـةـ بـنـاءـ عـلـىـ وـشـايـةـ مـنـ اـبـنـ خـالـتـهـ ، فـشـكـرـهـاـ وـأـبـدـىـ تـفـهـمـهـ لـلـأـمـرـ وـأـنـهـ اـرـتـاحـ مـنـ الـاـتـحـادـ حـيـثـ إـنـهـاـ السـنـةـ الـأـخـيـرـةـ وـيـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـكـمـلـهـاـ بـتـفـوقـ كـالـسـابـقـاتـ ، وـاسـتـسـمـحـ بـدـرـ عـلـيـاـ الـعـامـلـ الـمـسـاعـدـ لـهـ بـالـوـرـشـةـ

- على ممكنتى بمقعدين وكوبى عصير تفاح للأنستين، ولحظات جاء على بالمطلوب وجستا، وكانتا قد أتنا بسيارة والدة عبر لإصلاحها عنده فلطف مساعدة بالعمل وكان عطلا بسيطا فى يد الفرامل ،وقبل أن تمتد يدهما للعصير بادرت نور بالوقوف ومحادثته وهو يساعد فى الكشف على السيارة لإيضاح موقفها بعدما وصلها حديث الآخرين عما حدث فى الانتخابات الحالية وأعلمها أنه يعرف كل ما حدث وأن معتز حاول استغلالها فى ذلك وهمتا بالإنصراف بعدما انتهت حجمتها بتعطل السيارة ،فأتى صاحب الورشة ريثما وصلته روانح العطر الفواح داخل حجرة استراحته فأفاقت من غفوته ، ولفت انتباهه

- إيه يا بشمهندس زميليتيك لما تشربا بعد عصيرهما واجب عليك تعزم عليهم بشدة ،وكانتا قد أخذتا رشفة أو اثنتين منها فسارعت عبير بالتقاط الكوبين وشربت وأشاربت نور كوبها وأصرت إليها أنهم فى منطقة شعبية وأن ترك واجب الضيافة ربما يعتبرونه إهانة وأخذ الكوب وقتا فى يد نور حتى شربته وكان صمتا قد غلف الجوالا من صوت خفيض من صبي صغير تمنى فيه لو كان بدلا من الكوب بين يديها فغمزه على بالأ يسمعوا صوته ،وعاود الأسطري حديثه بعد أن مسح يده من السواد بقماشة جلبها من الحائط مخبرهما

- أن الباشمهندس بدر عبقرى طول عمره ومن يوم ما اشتغل معه لم ترجع سيارة إليهم بسبب نفس العيب إلا بعد سنين من تصليحها وأنه منذ لمحهم قررت نفسه أن أصحابها أكيد تتبع الباشمهندس . وحاول الإسترسلام مستندا الوقوف معهما ولكن قاطعته الأصوات الكثيفة من سيارة قادمة فتقدم إليها مستاذنا بأنه سعد بالوقوف معهما ومحادثتهم وكانت آخر كلمة أطلقتها نور قبل أن تغادرا

-أكيد أنت متميز فى كل حاجة !، وغادرتا ورائحة الورشة امتلاءت بأجمل العطور العالمية فأخذ الصبيان يستنشقانها شفطا شفطا

واشتعلت سريعاً في الكلية إشاعة بنشوء قصة حب بينهما فهما يلتقيان كثيراً بالكافيريا، وبرغم أنها لقاءات مع آخرين إلا أن الكل شعر بالشىء الآخر خاصة وأنه يدارسها بعض الدروس لهم المواد التي رسبت فيها حتى امتحنتها ونجحت فيهما، ويذكر البعض الآخرين بتغيير الحال عما حدث في أول عام بينهما.

وشعراً بما ذلك بأن شيء غير عادي يحدث بينهما وأصبح حال "زيينب" غير الحال وتغير النظارات والسلامات، وتفوق في العام الأخير وحاز المركز الأول على الدفعة وكذلك هي نجحت في كل المواد بمفردها لأول مرة منذ أن دخلت الكلية وكم أرسلت إليه من رسائل عبر الهاتف تشكره فيها، حتى أتقنه يوم استلام الشهادة وأهدته حلاوة النجاح "قبلة" لم تكن سرية بل كانت وسط الجموع ولم يرها أحد ولكنهم شعروا بها جميعاً وأصبح ما كان خيالاً حقيقة وما استطاع أن يدارياً، حتى أن معتز قرر الإنقاص بطريقته، فتدخل باتصالات وعلاقات أبيه واختير معيداً بخطبة مفضوحة وهو ليس من العشر الأوائل، واكتست بالحزن ملامح بدر وكانت تهون عليه من الأمر بأنه يمكنه الالتحاق بأكبر الشركات والتي بالفعل أرسلت بعضها تطلب للعمل لديها وأنها على استعداد أن تكلم والدتها ليساعد بعدها ازداد نفوذاً منذ نجاحه بدخول البرلمان، وكثيراً ما ردها عن ذلك، وكان بالله يرتاب كثيراً بلقياً زينب فهي لديها طريقة عجيبة دائماً بالتهوين عليه، حتى أنها هي التي أخرجته من كابته ونفذوا مشروعهم الذي حلموا به وأنشأ بدر وزينب وسعيد وآخرون مكتباً للإنشاءات والاستشارات الهندسية ومقره في شقة علوية فوق ورشة السيارات التي كان يعمل بها، وأعطيته هي مالاً ليس بالقليل وأقنعته بأنه نصيبيها في المشاركة معهم واقتصر بكل يسر وسهولة وضمهما لشركتهم، رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها سعيد وزينب، وأصبح المكتب فرصة لـ"زيينب" ل تستعيد حقها المفقود وكثيراً ما ألمحت إليه بعبارات شبه صريحة ومتقاربة

و هو يعطيها ذاك الأمل وما يقطع السبيل أمامها، فكم رأته شريدا
وبهذه القلم يصنع خطوطا على الورق تدركه الحيرة، و سعيدا
يلحظ ذلك وما يستطيع أن يبدل ما به

وكما أصبح "معتز" معيداً ابتعث خارجياً بأمريكا لاستكمال الدراسة واستشعرت "نور" العيد في ذلك فهو ليس جارها فقط ووالداهما شركاء وإنما ابن خالتها وأصبح لها وقتاً كافياً لتلتقي بدواً أثناء دراساتهما العليا بالكلية والتي التحقت بها خصيصاً كالأخريات للبقاء معه أكبر فترة وفي ذات الوقت عينها والدها كمهندسة استشارية بإحدى شركات صديق له، وحاولت أن تتضمن إليهم في مكتبهم أو تعطى لهم أعمالاً ومناقصات ولكنها تراجعت بعد أن وجدت صداً غير خافياً من زينب، كما أن أباها لم يطلبها بأن يكون لها شركة خاصة وأهداها مكتبة في برجه بوسط العاصمة وأنشأه بأغلب الأثاث وأكبر المهندسين بجانب منصبها السابق، وسارعت باستقدام بدر إليه ليوضع لمساته في إنشاءه وتبعها وكأنه مسحور ولم يستطع الرفض وإنما أبدى بعض الإعتراض البسيط سرعان ما زال بتأثير إلحادها، وفي ذات يوم أخذته معها بسيارتها ثم امسكت بيده وواثبت به حتى وصلاً لمقر المكتب وأخذته بجولة داخل حجراته الخمس ذهاباً وإياباً ثم استوقفته لتسمع رأيه في تصميم المكتب

- إيه رأيك فيه، أنا كان نفسى أنت اللي تشرف على تأسيس هذا المكتب وما زالت تدرس كفه في راحتها ثم تركته لحظات وأتت بعصير بأطيب الفواكه من ثلاثة كبيرة منصوبة كجزء من أحد الجدران وكان يقف مشدوهاً بجوار عمود رخامى مرمرى فى وسط الغرف الملتفة دائرياً وأراح عليه ظهره ورفعت إلى فاهه كأساً

- اتفضل

واشربته ثم ارتشفت منه وأعادته له ثم أخذت تروح وتجيء متراقصة وتحادثه عن أمالها وأحلامها وهو يرتشف قليلاً ثم كثيراً ويتابعها في جيئتها وذهابها وأنوار الأبراج حولهما تصنع تلاؤاً غريباً حتى انتهت من الكأس ووضعه على منضدة صغيرة من الزجاج الأخضر وأخبرها رغبته في الرحيل

- ألف مبروك بس الوقت حان لكي أغادر
وأمسكت بـكفيه بأن الوقت ما زال مبكرا للإنصراف خاصة وأنها
أخبرت الجميع بإلتقاءهم في هذه الشقة احتفالا بها ، واستغرب
هذه الحفلة ولكن ما رفض الإنتظار وسكتا سكوتا تماما حيث
تلاقت عيناهما تلقيا كاملا وما أشاح أحدهما ناظريه عن الآخر
حتى أحست بـكهرباء تسرى في جسده حرقت معها يديه من وسط
كفيها حتى استخلصهما ولكنه ما ابتعد فلفت ذراعيها حول رقبته
ورفعت كفيها لرأسه ووهبته قبلة قبلة وما كاد يفيق من القبلة
الثانية فتركز بصره على شفاه حمراوين وكأنهما قيئنـى خمر
وأغمض عينيه وهز رأسه ليستيقـع فعاودته اللثمة واللثمة حتى
زانها بين يديه والتأمت ذراعيه حول خصرها غادية وآتية
مرتفعة وخافضة وشفاهمـها تقول لبعضها ما تشاء وتناقلا بين
الغرف حتى استقرـها على نضـد جانبيـ بالحانط من خشب
الميلامين ذو الطبقتين مقام في غرفة الإدارـة فـكت عليهـ رداءـها
فـ أمسـكـها وأـ جـلسـها فـذـابـاـ فيـ سـكـراتـ القـبـلـ والأـحـضـانـ وـصـارـ ماـ
أـرادـتـ وـذاـقاـ طـعـمـ بـعـضـهـماـ ثـمـ اـسـتـفـاقـاـ عـنـدـمـاـ اـسـتـمـعـاـ لـطـولـ رـنـةـ
الـجـرسـ فـلـمـمـاـ نـفـسـيـهـماـ سـرـيـعـاـ فـإـذـاـ بـعـيرـ وـثـلـاثـ آخـرـياتـ
، وـتسـاءـلـتـ إـحـدـاهـنـ عـنـ زـمـنـ حـضـورـهـاـ

- هوـ أـنـتـواـ أـتـيـتـ باـكـراـ وـلـاـ إـحـنـاـ مـتـهـيـأـلـاـ
فـأـجـابـتهاـ آنـهـماـ وـصـلـاـ منـ دـقـائقـ قـرـيبـةـ فـظـاهـرـنـ بـالـتـصـدـيقـ
وـأـلمـحـتـ لـهـاـ عـبـيرـ بـإـشـارـةـ إـلـىـ أـزـرـةـ مـفـكـوـكـةـ عـلـىـ صـدـرـهـاـ
، وـرـدـدـتـ أـخـرـىـ هـلـ هـىـ دـقـائـيقـ فـقـطـ ، وـتـضـاحـكـتـ وـالـآخـرـياتـ
، وـاستـذـنـ مـحـرـجاـ :

ـ بـعـدـ إـذـنـكـ وـضـربـتهاـ عـلـىـ كـتـفـهاـ بـعـدـ إـحـراجـهـ
وـذـهـبـ لـدـوـرـةـ المـيـاهـ يـجـمـعـ نـفـسـهـ وـيـعـدـ هـنـدـامـهـ وـجـاءـ آخـرـونـ
وـآخـرـياتـ وـمـاـ كـادـ يـنـفـقـ الـبـابـ حـتـىـ صـدـتـهـ يـداـ ، فـكـانـتـ يـدـ سـعـيدـ
وـمـعـهـ زـيـنـبـ وـزـمـلـاءـهـمـ مـنـ مـكـتبـ الـإـنـشـاءـاتـ وـاسـتـقـبـلـتـهـمـ نـورـ
بـحرـارـةـ اـسـتـقـبـالـ .. خـاصـةـ زـيـنـبـ بـعـدـ أـصـلـحـتـ كـامـلـ شـائـهاـ مـعـ

قبلات مجاملة ذات طعم مختلف شعرت به "زينب" وإن لم تكن الآخريات قد أخذن بالهن واستقبل هو سعيد والآخرين وسائله

- إنت فين يا عم من الظهيرة حتى العشا لا ترد على الهاتف فحاول الرد مدافعا عن نفسه ولكنها دعتهم للجلوس بحجرة المهندسين وسألتهم عن مكتبهم وما خططهم التي قرروها لبدء عملهم وتمتنت أن يتشاركا المشروعات معا.. وكل ذلك وهو يحاول الإبعاد عن ناظري سعيد وزينب حتى أقبل جدد آخرون وكثير الجمع وغاب كل واحد وسط الجميع إلا أن بعضهن تحركن في الشقة ودخلن غرفة الإدارة التي كانت مغلقة فاكتشفن كثيرا مما حدث حتى وصلن إلى طاولة الرسم، وكانوا قد دارا عليها أثناء قطافهما، ثم تعالت ضحكتهن مجلدة جلت اهتمام زينب ولحظتهم نور وقالوا في خبائثة وصوت خافت بينهن

- لقد أتاما علاقتهما عدة مرات منذ أول النهار وترتفع إشاراتهم وهن تشنن إلى ورق على النضد الهندسى قد اهترأ، وهنا أيقنت زينب ما كان يحدث. فاستحسرت في نفسها وهنأتها بكلمة مبروك ارددتها

- مبروك على المكتب والشركة

وبنظرة ثاقبة معاقبة لبدر وكأنها سهام حارقة تنفرس ولا تخرج، فخرجت مسرعة قبل أن تساقط دموعها ولحق بها سعيد ملقيا عليه بسهام أخرى وما لحظها أحد إلا اللاتى استجلبوا أحداث الساعات الماضية، وأنتم الآخرون الحفلة التي جعلتها النسوة حفلتين لمناسبتين، ولم تخفى نشوطها بعدما خرج شركاء بدر وبقى هو معهم حتى مضى منتصف الليل كانا فيه كعروسين وسط حفل زفافهما .

و عاد "معتز" من بعثته سريعا بلا شيء فالعلم يحتاج للمجتهدين، وسرعان ما علم بمكتب نور فذهب وهنأها بالشركة والمكتب وما برح يلمح إلى ازدياد جمالها وحدوث تغييرات لا يعرف مصدرها زادها رونقا وحسنا وجمالا فوق جمالها وكثيرا ما اسمعتها صديقاتها ذلك وقليل من كان يعرف السر.

وجاءت الأخبار متسرعة فقد انسحب زينب من المكتب، وعلم معتز برفض والد نور بدر عندما تقدم له طالباً يدها ، ثم تشغل بخطة لرسالة ماجستير أعلن عنها مجلس الكلية للفائقين فقط بدون سنوات تمهيدية وعاودت الأيام الخواли فعلها وتقدم معتز بخطة أعدت له عندما ابتعث خارجيا ولكنها رفضت هناك وقبلت هنا وتجدد تنافسهما بين موضوعات الرسالة ومشريفها ، ثم ذهب لخطبة نور وأبدى أبيها ترحيباً شديداً به ، وحاولت نور الرفض فما أعطاها والدها وقتاً كما لم يعطيها فرصة لإبداء رأيها مراراً في زواج بدر عندما حدث وظل يحدث إلى وقت قريب، فلما ألمحت لوالدها بما حدث تغافل عن ذلك وأخبرها بأن أمور الحب هذه تحدث كثيراً في مجتمعات الأثرياء كتجارب عاطفية تبدأ وتنتهي .

- كل واحد أو واحدة ممكни يمر بتجارب عاطفية لكن طبقتنا لما تحب تتزاوج أو تعقد صفة نسب لها اشتراطات وقيود وفروض أخرى تفرضها مكانتهم الاجتماعية لا يجب عليهم أن يحيدوا هم عنها ، وفي آخر مرة انخفض حاجز الأبوة عندها وردت بقوله أغضبه فصفعها لأول مرة في حياته ومن ثم أنهى موضوع بدر، وقرر اتمام زواجهها من ابن خالتها الذي سارع مع أبيها لاثارة القلاقل حول بدر حتى انسحب من شركتها ووصل الأمر لاحتجازه بقسم الشرطة بتهمة التلاعب في مناقصات الشركة وسحب رخصة مكتبه وانفصل سعيد بمكتب جديد وانضمت اليه زينب بحصتها في المكتب السابق وظل أسايبيعاً سجينًا حتى تدخل أصدقاءه وذهبوا لنور وأخبروها بأنها ستكون سبباً في إنهاء

مستقبل بدر وربما موته ،فتوصلت لأبيها ووافت على زواجها من معترض وما اعترضت على الإسراع بالزواج وإتمام الزفاف ،أخرج بدر من السجن وألتقاء أصدقاءه وحاولوا أن يعيده إلى حاله وضمه إلى مكتبهم فطلب وقتا للإسترحة والتفكير - أنا معاقم بس يحتاج فترة وقت الملم نفسي وأقر إيه اللي هأعمله في المرحلة الآتية

واتخذ من شقة بسطوح العمارة المقابلة للمكتب سكنا بعدما أهداها له صاحبها لاحتاجة في نفسه وكانت عبارة عن غرفتين متداخلتين بحمام ،أمامهما فسحة بنفس مساحتهم تطل واجهتها على الشارع فحولهما كشقة فاخرة قبيل دخوله السجن وصارت كيانورما ذات برجولات خشبية وجصية مزخرفة بالأرابيسك الملون ،وصار أهل صاحب العمارة دائمي التردد عليه بالزاد والمؤمنة ،وما كان يخفى على فهم بدر ذلك وكان دائم مراعاة الأمر ولا ينفرد بإحدى بناتهم الثلاثة خاصة البنت الكبرى "نادية" والتي كانت أمها تحرضها كثيراً لملاugasاته وفتح حوارات معه ،وكان ظنه وحسنه أن تعلن خطوبه زينب من سعيد أو آخر حتى فوجيء ذات يوم يجيءه ويجلس معه كثيراً ليعرفه عنه ويعيده كما كان ،ويفاجأه بسؤال

- إيه رأيك في نادية بنت صاحب العمارة
ويجيبه بعد لحظات استغراب عن حسنها وأدبها ،فيسر إليه بعزمه

- أصل أنا ناوي التقدم لأبيها وياليت تفتح معه حواراً عن ذلك ويعذر خوفاً أن يفهم الموقف بالخطأ ويختلط عليهم الأمر فأستصوب صديقه رأيه وقرر أن يذهب إليه بنفسه في محل جزارته ويطلبها منه وقبيل مغادرته ينبه باله إلى "زينب"
- بدر راعى شوية لزينب بنت ممتازة و تكون لك مشاعر الود والمحبة ،ويعلمه بتقدم العديدون لها وهي ترفض ويوضح له أن غير قليلين يعلمون بحبها له ولكنها تشعر بصدمة من مشاعره

و هنا استوقفه عن الإسترسال وأن كل ما سبق قد انتهى ، وأنه سيعيد ترتيب حياته ، وأكّد له أنه سينسى ويبدأ من جديد.

- محتاج أتيقن من كلامك

- أتأكد انى قررت أعيد كل حساباتى

ثم أمره بتغيير ملابسه والذهاب للمكتب ريثما يقوم هو بمقابلة المعلم فاروق ويسمع ما رده ، وشد انتباهه أنه ربما تكون زينب في المكتب هذا الوقت ، فهنا مقدما مباركا له الزواج "

- نادية بنت أصول ووالدها من أجود الناس وأتمنى لكم حياة سعيدة

وهنا رد عليه بالربت على ساعده وتمنى منه الدعاء له فدعى له وغادر وقام من فوره ببدل ملابسه وذهب للمكتب ، وفوجئت به زينب يقف عند مكتبهما مبتسمًا منحرحاً فما لحظت نفسها إلا متأبطة حاضنة له ومقبلة وسرعان ما تراجعت ولملت حالها

- افضل وأجلسته على كرسي

- لحظة واحدة ، سوف أعد لك كوبا من الشاي ، أنا عارفة مقاديره فأمسك بكفها ووقف ليحادثها فوضعت أناملها على فمه وأكّدت عليه نسيان مافات والبدء من تلكم اللحظة وأخذها بين كفيه ثم ذراعيه وكاد أن يقبلها حتى هبط عليهما سعيد فرحا وبصوت مجلجل طالبهما بالمبركة له

- باركوا لي إ هنا ... وقبل أن يتم خرجت منه كلمة

- أوبأ!!! أنا جيت في اللحظة اللي مش هية ، فردت عليه

- أنت طول عمرك تأتى في التوقيت الخاطئ لتفرق وما توفق فكان رده :

- برضوا أنا معش مش وقته بنظرة عتاب بسيط لها وبارك له بدر واستعلمت هي فأخبرها بأن المعلم فاروق وافق على خطبته لإبنته نادية وقرءا الفاتحة ، وحياته على أنه أخيرا سوف ينعم ويغرق في اللحمة ، وضربته على كتفه وكأنهما أخوين شقيقين رغم ما ظن الآخرون غير ذلك وكانت قد صرحت

له سابقاً بعشيقها لبدر و فعل هو الكثير للتقرير بينهما و حاول
ابعاده عن الآخريات ، ثم أطلقت زغرودة من أجله ، و ارتفعت
زغاريد الجيران معها و تدخلت الزغاريد و رد بأن يجعلهما
اثنتين واحدة له و الأخرى من نصيب شخص آخر في باله
و أسعدها الاشارة فأعادت لها نشوة الأمل فأطلقت واحدة طويلة
مجلجة وأمتلا المكتب والشارع بالشربات والمهنيين .

وذات مساء نظرت إليه من شرفتها بعدها تركته عصراً ليذهب
في ميعاد له وهي ما أنفكت تنتظره من زمن وابتسم لها ورحل
عن بابها وانتقلت هي إلى غرفة أخرى فصارت أمام ناظريه
وكأنها تطلبه تتوسله فقد مررت أسبابع على خطوبة ابنة المعلم
وسعيد واقترب فرحهما وتمنى أن تلتحقهما، فأشار بيده وضعها
أمام قلبه وكأنه يقول لها أن في قلبه بعض الوجع القديم وتنهدت
طويلاً بعبوس وأشارات لا يهمه وستتحمل وأن القلوب لا
يملكها إلا خالقها ومر بعيداً وأخذ يصعد السلم ويذكر كل ما حدث
له، وفجأة استبصر كأنها أمامه على السلم العلوى تنتظره وهز
رأسه متتعجاً أن يكون ألم به شيء أو أن عقله أصابته اللواثة
ونظر تكراراً فما وجدها حتى وصل لشقته وفتح الباب وخطر له
أنها خلفه فنظر فكأنها واقفة على السلم وانتظرت أن يحدثها
بأية كلمات لتقنعت بسلامة ظنها وحسن خواطرها ولكن أحرق
الخيال

- أتمنى أن يرزقك الله بين الحلال الذي يسعدك ويرعاك
محاولاً اقناعها بصعوبة أن يبدأ حياة جديدة دون أن ينسى أو
يتناهى وابتداً تفهم لما ألم به وارتضت فقط بأن تكون بجواره
وهو يدير وجهه عنها وهي تدور من حوله لتتصق عينيها
بناظريه حتى إذا ما أتعبيه الحيل استاذتها وألقى إليها بتحية
النوم وأظهرت تعباً كاذباً ولكنها انفلتت من وقوتها وتماشت إلى
غرفته وأوقفت الباب قبل أن يغلق وعاود الشرح للإبعاد
واستحالة أن تسير الحياة كما ترغب وكان سراً عميقاً يمنعه عن
ذلك

- أفهميني أنا ليس سهلاً أن أتناهى فيه أشياء يستحيل أن تخفى
وتنتهي . واندخلت في الغرفة وجاءه احساساً جديداً لم يعهد
وهي كذلك إذ أنها أول مرة تخطو داخلها وهاهي الآن في ظلمة
القمر وكل تباعد منه تقارب هي إليه حتى انجر غاضباً لأن
تجعل لعقلها فهما ، وأصابتها الغضبة في قلبها فاغرورقت عيناها

وانطلقت فى انهيار فوق درج السلم فلام نفسه وتبعها مسرعا
وناداها
- زينب

فاستوقفت نفسها فى وسط السلم وما التفت وشهقات بكتابها
ترفع صدرها وتخفضه وخطابها بصوت خافت متراجلا على
الدرج

- أنا لم أقصد جرح مشاعرك أو الإستهانة بحبك ..
وعندما أحست بوقع خطواته فى بسطة قدمها استدارت وردت
- أنا لا يهمنى أى شيء ما دمت سأكون معك
وأمسك نفسه قبل أن يعاود كرمه إغضابها فاستزدادت من قربه
وكلماتها تحنو وترفعه حتى وضعت بسطته كفيها على صدره وما
أنزلهما أو أبعدهما واستنامت على صدره وتركها تغفو وياداه
مشلولتان على كتفيها فلما استنشق أنفاسها حاول إبعادها
فرفعت ناظريها وألقت بشفتيها فى شفتيه واستطعهما
واستزدادت فأخذ ثغرها بشفتيه وعودها بين ذراعيه واستسلمت
واستراحت بينهما وأسعدها الحدث حتى إنها تكاد تختبىء بين
أضلعه فلما نبأتهما غزاره حر الشفاه انفلتا وما زالت هي داخل
ذراعيه ويسهل بكفه وجهها ويوضع قبلة هنا وأخرى هناك ما بين
الجبين والوجنتين وفي الشفاه ثم تباعد عنها رويدا رويدا
فظهرت منه وألقى فوق جبينها قبلة تودعها وهى ما تبرح
مكانها بل كلها يطلب العود من جديد وتجذبه لها فيرد

- أنا سامع خطوات أحد على السلم آتى
ولمحا ظلا على الدرج السفى حتى غاب فى الدرج الأعلى منه
وتركتها على البسطة الوسطى ،وعندما اكتشفت أنه لا يوجد أحد
إلا خيالات الإضاءة على السلم برقت عرجا إليه وقبيل الباب
توقف لما سمع همس قدمها فاستدار وألفها عنده ففزفت بذاتها
إليه فاستقبلتها بيديه وما أعطت حراك حتى أضمهما فى حناء
صدره وأخذها إلى داخل الغرفة وما إن بدأ يلمس جلدها وأجزاء
جسدها الداخلية حتى وجد نفسه فجأة يسقط من على سريره

الصغير وإذا به قد غفى من شدة تعبه وتذكر تلك اللحظات فى المكتب وذهب إلى باحة السطح لعله يكون قد تم فما وجدها وعاد وأغلق باب غرفته عليه وجلس على السرير وأخذ سويعه يفكر فيها مليا ثم نهض مسرعا نحو الباب ووقف أمامه بعد أن فتحه وخاطب نفسه بأن الوقت ليلا ورد على نفسه

- الوقت مازال بعد العشاء ولم ينتصف الليل

ونزل مهولا حتى وقف ببابها ووجدها أوصدت كل شرفات البيت إلا فرجة صغيرة في إحداها وطرق الباب قليلا فجاءه صوت أمها بالانتظار وخاطبتها لتتظر من يطرق فجاوبتها أن تنظر هي لأنها متعبة وكانت مستلقية على أريكتها منهارة من كثرة النحيب، فلما سمعت صوت أمها تقول :

- الباشمهندس بدر دقيقة أنزل أفتاحك ؟ فظننت نفسها تهزى أو تحلم وما صدقت فأنطلقت إلى فرجة الشباك لتتظر ومن قوة اندفاعها التفت قدماها فسقطت.. ورأته هو فهرولت إلى السلالم وتوقفت قدماها لما وجدت أمها سبقتها وقبها ينخلع من مكانه وتساءلت ما جاء به الآن ..

- أيكون ؟ وعادت وجلست على الأرض من شدة ضربات قلبها مسندة ظهرها لباب غرفتها، وفتحت الأم واستسمحها واستذنها بأن يجلس معها قليلا فما رفضت وتمتنت في قلبها أمرا وطالبته بالدخول

- افضل يا بشمهندس

وأخرجت رأسها من الباب تناهى على شقيقها تدعوه إليها قليلا - يا حاج حسنين ، حاج حسنين تعالى عاوزاك شوية ، ورجعت إليه ورد هو باستغرابه لأنه لم يجده بالدكان وهو مار أمامه " وجلست في مقعدها الخاص " وطمأنته أنه ربما كان بالمخزن أو ذهب يأتي بشيء فاستشعر الحرج البالغ أن يكون أخيها شاهده دون أن يلحظه هو ، خاصة وأن الدكان أمام البيت وجاء مسرعا فقد سمعه وهو يطرق الباب ولمحه من شباك المخزن قبيل أن تناديه أخته ورحب به ، وما إن جلس حتى

سارعه معتذرا بأنه نظر باحثا عنه فما وجده ورفع خالها عنه الحرج ،فهم بفتح الموضوع مباشرة يعرض رغبته فى الزواج من زينب وهنا سقطت على الأرض من شدة رنة الكلمات فى أذنها بعدها وقفت قليلا على دربzin السلم لستمع لهم وأخذت تقبل الأرض سعادة وفرحا ،وكان الحال قد استقبل طلبه بكل ترحاب واستفسر منه عن أهله

- طيب أنت مين ومن من أهلك معك وإن قسم الله مشيئته بالقبول لازم أن يأتوا معك ،وابدئ ببعضا من التردد والمماطلة لحين سؤال صاحبة الشأن والبحث عن أحواله وأهله وكأنه لا يعرفهما ،ولكن الأم العالمة بحال ابنتها ارجأته أسبوعا فإن لم ترسل قبله ردًا بانعدام القسمة والنصيب ،فعليه أن يأتي ببعض أهله يوم جمعة الأسبوع وتمتن الابنة لو استدعوها من فورها وسؤالها لأجابت بالموافقة وكانت قد أسرعت في تبديل قميص النوم بزى مناسب على أمل مناداتها ولكنهم لم يفعلا ،واتفق معهما إن وافقوا أن يأتي بعمه وابنه زوج أخته المقيمين بقربهم ، وشرب واجب الضيافة الذى أعدته الأم واستأند لإنصراف فاقدا الأمل أن يبعث إليها أحد ،وهى كذلك أصابها الإحباط والحسرة الغاضبة ،وبعدما أوصله للباب عاد أخيها ورجاها

- أرجوك أسألى ابنتك وتناقشا جيدا ولا تعنفيها أو تندميهما على ما فاتهما من خطاب سابقين فهى وحيدتك التى تيمنت صغيرة ،وانطلق إلى دكانه وصعدت إليها الأم فوجدها تنظر له من فرجة الشباك فدعت أن يكون هو من كانت تنتظره فاللت الفتاة نفسها بين أحضان أمها تراقصها فرحا وتائبها على عدم استدعاءها وسؤالها ،فصبرتها الأم وأسرت اليها بمخاوفها من علاقته السابقة ومارأته يوم حفل عقد قران سعيد على نادية وإitan صديقتهم عبيرالتي جذبت أنظار الحاضرين ولكن ناظرها كان مع بدر الذى انسل من الحفل سريعا لكي يوصلها لسيارتها وما عاد للحفل فاردفتها الابنة

- أنا لا يهمنى ما سبق و ما مر أو فعله قبلًا فالمهم لدى أنه أخيرا طلبها للزواج وهى التى ستكون زوجته وليس امرأة أخرى فأاحتضنتها الأم وأمرتها بعدم الذهاب للمكتب طوال الأسبوع وتململت بتبعاد الميعاد وودعتها الأم بابتسامة وقبلة وحضن، ولما أغلاقت الغرفة عليها تراقصت فرحا وسعادة وقبلت دولابها وكل ملابسها حتى مرأة تسريحتها، واحتضنت قطة الجيران التى تأتى إليها دائمًا لتوانسها ليلاً فأخبرتها السر وهى الوحيدة العاملة به من كثرة سماعه منها، وذهب هو إلى سعيد فوجده مشغولاً بإعداد شقته ليوم الزفاف الذى سيكون بعد ثلاثة أسابيع فأعتذر له عن تغيبه بعض الأيام عن استكمال مساعدته فى ترتيبات الفرح

- لا يا صاحبى أنت أبو الواجب كله
فنفى عنه التقصير وأشار له بسرد ما لديه وبازارا على وجهه
فلمًا أعلمه طار به صديقه فرحا .

وفي ظهر الجمعة بعد الصلاة ذهب بعمه وزوج اخته لخالها فى بيت أبيها وقرئت الفاتحة وارتقت الزغاريد فى منتصف النهار فجاءتها المهنيات ومنهم زوجة سعيد التى رجت أنها أن تأخذها معها ليستكملوا بعض أشياء من شوارع الفرح متمنية أن يأتي يوم فرحتها سريعا لتساعدها كذلك فوافت الأم على إلا تذهب معها لبيتهم لوجود خطيبها مقىما هناك فلا يتفهم الناس الأمر خطأ ، فأخبرتها نادية أنه جمع أشياءه وانتقل لشقته الجديدة وترك مكانه كاستراحة لسعيد عندما يزور نسيبه فى بيته فى قادم الأيام وكانت قد تجاورا فى سكن الزوجية الجديدة فلما وجدت الأم الأمر كذلك رجتها أن يكون خروجها فى الغد حتى لا تترك المهنيين بمفردهم.

تذكرا كل ذلك وهم جالسين في داخل قاعة الاحفالات بالجامعة الحديثة بالعاصمة ينتظرا تكريما ابنيهما الأكبر الحاصل على المركز الثاني على مستوى الجامعة بعدهما كرم منذ أيام كال الأول على كلية ، حتى فأجاهما الأمر ، وحدث مالم يكن في الحسبان وبدل فرحةهما عجبًا منه وغضبا وألما منها ، عندما جاء تكريما الأول على الجامعة فإذا بها ابنة منافسه في الجامعة ولكن لم تكن تلك هي المفاجأة ، ولكنها كانت في أن الفتاة تشبه ابنيهما تماما للاحظ ذلك المكرمون لما صعد للمنصة وظنوا أنها قريبيين وسألتها احدى نواب رئيس الجامعة عن ذلك

- انعوا قرائب ولا إيه

فبدى على الطيبة الشابة العجب والحيرة تصعقها وفي أحد أركان القاعة وقف غاضب آخر هو والدها الذي نظرت إليه كثيراً فما لمحت بينها وبينه أية شبه ، أما أمها فما بدا عليها شيء سوى الهدوء التام والإبتسامة العميقه وكانت الصاعقة الكبرى في تكرييم الرابع فإذا به شبيها لهما وقفز بدر من مقعده وتعجب كل الحضور وأسرعت زوجته هاربة من المكان تتفجر غضباً وبكاءً وظل هو بجانب ابنته وأخويه الولد والبنت التوأم (وكانوا متعجبين من سلوك أمهم)

- هي ماما مالها

فهذا خاطرهم الأب وأفهمهم بأن لديها أمراً مهماً وستعود من فورها وكان التوأمين يشبهانها جداً أكثر منه إلا قليلاً من بنين جسده وانتهى حفل التكرييم وما عادت ووجودوها بالسيارة يباتizarهم ، وكانت السيارة غارقة في بحر من الدموع وبقي الجميع صامتاً وقدرت السيارة والأبناء يقلبون ناظريهم في بعضهم وبين أبويهم حتى وصلوا البيت ، وتماسكت الأم وأبدت متصنعة الفرح والسرور بابنها وأنها تعبت قليلاً في الحفل وأصابها الدوار والصداع وارتاحت بعد تناول قرص دواعها وحثت الآخرين على اتباع نهجه في التفوق وأخرجت ما أعدته

من مأكولات وحلويات احتفالاً بهذه المناسبة وجاءهم من دعتهم سابقاً احتفاءاً بابنها ، وقضوا ليلة ممتعة وهنية، حتى ذهب المدعون وصار كل واحد إلى غرفته ونام الأبناء وظلت هي بطرف السرير وهو على كرسى يتحصّل وكلما حاول التكلم انعقد لسانه وقامت وألقت نظرة أخيرة على أولادهم ثم عادت وأغلقت حجرتها جيداً، ثم بدأت هجومها الشديد معنفة إياه طالبة تفسيراً محدداً ، بلا مأثورات شعبية أو حجج علمية كما تعود وهي تشير بأصابعها إليه وقد قربت من رقبته وكأنها تهم بخنقه فما استطاعت

- أنا عازف تفسر لي الأمر ومش عازف تقلّى يخلق من الشبه أربعين وحدرته من قول أى حجج واهية أو خيالات - فنفي عزمه أن يقول ذلك وأخبرها أنه قابل في الجامعة نور فساطعته :

- نور طبعاً نور... كمل آه ... كمل (وحاول التكمّلة وهي تنتظر) فردت مؤكدة أن نور أنها مستفسرة عن أبيها الحقيقي ، فرد مسرعاً مذكراً إياها بما حدث يوم افتتاح مكتبيهما ، فكسرت كوباً أمامها وتماسكت ، مخاطبة مشككة أن تكون البنت من هذا اللقاء وأنهما لا بد قد تلقيا كثيراً ، فأكّد لها

- لقد كانت لقاءات قليلة قبل أن تزف لإبن خالتها ، وقبل أن أفكر أنا في زواجك وذكرها أنها وعدته بنسيان كل شيء ومسامحته لما أخبرها بالحقيقة قبيل اتمام زواجهما ، وهدأت قليلاً وجاوبته أنها بالفعل سامحته ونسّيت

- بس أنا قبلى هينفطر ويقطع من ذاك الولد الثالث فانه يشبهك أكثر من ابنتنا وابنة الآخرى فكيف وممن ومتى ؟ وأخذت تسرد له أيامهما منذ قطع علاقته بنور وأنه ما غاب كثيراً عن ناظريها وهي متأكدة أنه لم يتلقّيها مجدداً منذ ذلك الوقت فكيف يكون ذلك وهنا ألقى بنفسه على الكرسى مجدداً كأنما يتحاشى غضبها أو أن يرد عليها ، وسكت كثيراً وظلت هي تروح وتتجيء في الغرفة وتسأل وتسفّسّر نافية أن يكون الأمر صدفة وتنظر منه رداً فلا

يجيبها ، فلما ازداد غضبها من سكوته أمسكها من يديها وحاول إجلاسها وتهدايتها لإخبارها ما عرفه فأبعدت يده عنها وجلسَت بعيداً في آخر زاوية مظلمة بالغرفة فأعادها ليوم عقد قران سعيد ونادية

- فتأوهت: نادية التي كانوا يريدون تزويجها لك وأخذت تهز الكرسي بشدة فتوقف عن الكلام
- كمل كلامك

- وذكرها حاله وقتها وهو ما زال خارجاً من السجن وأنه جلس بالفرح قليلاً ثم غادره ، ورددت عليه أنها كانت تتبعه وتآلمت كثيراً لحاله وقتها (وارتاح قليلاً لانخفاض نبرة صوتها) وأكمل أنه بعدها صعد لشقته (ثم سكت طويلاً وتنقل بين الشباك وطرف السرير والكرسي ونظر اليها فوجدها قابعة ساكنة) (فوجئت بغير تتحقق بي وأخبرتني أنها كانت بالفرح تهنىء سعيد الذي دعى أغلب الدفعه لقرانه ثم تسللت إلى السطح بعدها تركت الحفل (وهنا قفزت واقفة من على الكرسي) مرددة اسم عبير كثيرة

- عبير عبير لا لا مش ممكن عبير عبير !
وامسكت رأسها بكلتا يديها غير مصدقة ما تسمع ، فاكمل أنها جاءته برسالة من نور تخبره بحقيقة موقفها واعتذارها عن فعل أبيها وزوجها ... ثم حاول إنهاء الخبر وسكت ... فقربت منه على طرف السرير طالبة أن يسرد عليها تفاصيل تلك الليلة كاملة فحاول التهرب متعللاً بمرور السنين ولكنها أصرت فأخذ يتذكر - أنه حاول توصيلها إلى الشارع الذي ركنت به سيارتها ولكنها أفهمته أنها لا تستطيع الخروج لحظتها بعدما جلسوا في الفرح أمام العمارة وسد الشارع وظلت معه على السطح حتى اضطر إلى فتح حجرته فدخلت من فورها وخليعت جاكيت جلدي كانت تلبسه لظهور ببلوزة بلا أكمام وطلبت منه قليلاً من الماء وجاءها به وأخذت تتفحص شقته وأعجبت برقيها رغم بساطتها وصغرها ثم عرض عليها مشروب ساخنا فوافقت وراح يده لها

ف قامت هى لتصنعه وأمسكت يده جاذبة كوب الإعداد متعمدة
لصق نهديها به وأحس بدفأ صدرها فى أعلى كتفه فاستدار
ليبعد وأخذ يصنع لها المشروب وفاجأته بضمها إليه من خلفه
وسردت له أنها تتابعه مع نور دائماً حتى رأتهم ذات مرة
بالمكتب وهما مستمتعان ببعضهما، وتمتنت لنفسها لحظة معه
وهابي قد جاءت، وكان هو كالطير الذبيح فمن أحبها ذهب
لغيره، ومن أحبته نفرت منه، وكانت هي ذات جمال وشذا جسدها
الفواح أغرق الغرفة فيه وكأنها تجهز خصيصة لتلك الليلة
، فلتلقيما بعضهما وحدث ما لا بد أن يحدث في مواقف كتلك
وخلال سوية جداً نفسيهما قد أيقظتهما دقات الدفوف والطبول
إيذاناً بإنتهاء حفل الزفاف، وقامت من فورها وكما أنت خرجت
وسط جم النسوة وعادت من حيث جاءت، وكان هذا أول وأخر
لقاء لهما وفرقت بينهما الأيام حتى التقاهما ثانية مع نور في حفل
الجامعة .

- وهنا أخذته ضرباً بكفوفها الرقيقة ناكرة له خياناته كل هذا
الوقت، فأقسم أنه لم يحدث منذ ارتبط بها وأنها كانت ساعة
واحدة مع عبير وبضعة أيام مع نور، فاستقبحت أفعاله
واستنكرت أن تصدقه في أنه لم يتلقيهما بعد ذلك أو تكون هناك
آخريات، فكرر عليها أعظم الأيمان أنه ما عرف امرأة أخرى ولم
يتلقيهما من يوم خطوبته بها وارتمنت تبكي فوق السرير وهي
تردد

- أنت كذاب وخائن ، كذاب وخائن
فتركتها وخرج يجلس في بلكونة الحجرة وظل هناك حتى
الفجر، وأشعل عدة سجاائر من علبة قديمة احتفظ بها منذ آخر
مرة دخن فيها قبل أشهر بعيدة وهي ما زالت تبكي وتردد
- كاذب وخائن وترفع رأسها لتنظره كل ساعة وتعاود بكاءها
، وكلما وجدته ساكناً لا يتكلم يزداد بكاءها ونحيبها فلعله
يتذكرهما ، حتى رق لها أخيراً وذهب إليها ورفعها من خصرها
وأخذها بين ذراعيه وهي تضربه بجناحي انشى على كتفيه ولم

يمعنها حتى هدأت بين ذراعيه واستكانت ثم أخذ يرفع نظريها إليه ويكفف لها دمعها فتشهق باكيه كل مرة وتعاود النحيب على كتفه حتى أخذ يقبل يديها ورأسها راجيا أن تسامحه، ثم رفع وجهها له مرة أخرى ومسح دمعها عن خديها بشفتيه وأخذ يقبل شعر رأسها ويديها ووجنتيها فرقت وارتخت فسقاها بشفتيه قبلة كثيرة، ثم ردت إليه قبله بأكثر منها وعاودتها لحظات أول ليلة معه فأخذها إلى السرير وصالحها وقضيا ليلة كلية دخلتهما، ثم ايقظتهما طرقات ابنتها على الباب تخبرها بقرب آذان الظهر

- ماما احنا بقينا الظهر أنتم نسيتم ميعاد السفر ولا إيه ، خلاص إحنا هنسافر وانهم مغادرون فرددت عليها بالموافقة

- مع السلامة وساخبر والدكم عندما يستيقظ طالبة مسامحتهما وقضاء وقتاً لطيفاً مع بعضهم البعض وأصدقاءهم، فنظرت إليه بجوارها ملياً ومررت يديها على ظهره ورأسه ثم قبلته وألتف لها وضمه وعادت على صدره وبعث في جسدها حباً مرة أخرى، وقاما قبيل المغرب فخرجاً ووجداً على منضدة الطعام بالصالون ورقة مكتوب عليه :

- "سافرنا"

وتذكرا ما وعدا به أبناءهم بتركهم يأخذون اليومين التاليين للحفل فسحة مع أصدقائهم في اجازة بإحدى القرى السياحية وجهزت له إفطاراً كافطاً العرس.

وطلت خطيبته تطارده، يعيinya أحياناً وتأتي إليه أخبارها وترتفع خلفاتها مجدداً خاصةً بعدما علمت بانفصال نور من زوجها، وخشيit زينب من الأمر فطالبته بالإبعاد فوجداً مكاناً فقرروا ترك البلدة والإنتقال إلى المكان الجديد وكان قد اشتري فيلاً بالمدينة الساحلية بالبحر الأحمر خاصةً وأن التوأم كلاهما إلتحق بالجامعة المستحدثة هناك، والأكبر انضم من فوره إليها كمعيد بها، وحاولاً تناسياً الأمر ولكن الآخرين من عائلتين مشهورتين تتعدد أخبارهما في الإعلام والصحف، فطلت خطيباه تطارده فقرراً اعتياد الأمر وكأنهما من صدف الشبه في خلق البشر ،

حتى فوجئت يوما بحضور نور وابنتها إليها راغبة في إلقاءها بأخواتها فقد عرفتها مع بدر وهنا انفجرت فيها زينب طالبة منها المغادرة ثم عاد زوجها واهتمت به فوق عادة اهتمامها حتى إذا جلس بشرفة المنزل ليرشف قهوته وجدها صامتة تنظر إليه شاردة فمد إليها يده وأخذها في حنايا صدره يخفف عنها ألما يشعر به فإذا بها تضمه ضمة شديدة لها فوضع وجهها بين ناظريه فأغمضت عينيها وراحت تقبله من بين عينيه حتى شفتية مارة برأسه ثم نزلت على قدميها وجلست على الأرض وكفيه بين يديها قابضة عليهما تقبلهما ثم أرخت رأسها بهما على ركبتيه، وأخذ بيده اليمني يتلمس شعرها مفردا خصلاته بين أصابعه فإذا بهدوء المنكسرة تخبره الخبر

- من ساعة جاءت نور بابنتها وكانت تريد لقاءك بها ولكن "وترفع رأسها بنظرة وابتلاع لريقها" ولكن طردتها فلم يجب وسكتا واستنامت على قدميه ثم أخذ شهقة كبيرة بزفراة أكبر جعلتها ترتعش وينتفض جسدها وكانت أن تبكي وأجابها - أنت عارفة من بعد حفلة التخرج أخذت أفker فى احتمالات تلاقيها بابننا الأكبر فلما عرضتى على ترك المدينة بعيدا نفذت رجاءك بلا تردد وقتها سألنى

- لماذا نغادر بفكان لزاما على أن أخبره حتى اقطع ظنونه وشكوكه التي تولدت من تهams الجميع - أنت قولتهم ،وسأيني وسطهم كالبلها

- لا أخبرت ابننا الأكبر فقط فدعانى للإستغفار ولكنه رمانى بتهمة الخطينة التي لا تغفر فهى باقية وحية وتمشى على الأرض ،وربما أثمرت خطايا جديدة ،فماذا لو التقها قبلأ أو بعدا وصار بينهما عشق أو بينها وبين أخيها الآخر وهنا ألهب احساسها واستفاقت واضعة يديها على فمها ثم خديها وأردد بمفاجئة الجمتها :

- أنا اللي بعهالك فقد آتينا إلى وألتقت بأخيها ولكنه رفض إقرار الأمر ،وأخبرتني أن زوج عبير أراد يوما خطبة ابنتها لابنه

فرضت الأمين ثم تناسيا الأبوين الأمر بعدما التقى وكشف
لنفسهما السر وطلقا زوجيهما فوقفت على رجلها ووقف
أسرع منها وقبل أن تفعل أو تتبس بأية كلمة ضمها سريعا إليه
وحاورها

- لقد فعلنا كل شيء للنسيان وابتعدنا ولكنها الخطيئة الباقية
وقبضت كتفيه بيديها ورفعت رأسها إليه وكانت تعاودها ثوراتها
السابقة ولكنها تراخت وألقت نفسها بين حناء قلبها

- هو ممكن يكون عندك ؟ فأمسكتها بتميمة نفی من فمه

- أبدا مش ممكن يكون . لكن القدر يعيد على خطئتي ولا يريد أن
ينسى أو يغفر فماذا نفعل أكثر مما فعلنا

- أقسملى أن عمرك ما تفارقنى أو تسمح لأية امرأة بمشاركتى
فيك ؟ واستعجب فهذه أول مرة تطالبه بالقسم

- أقسم لك أنتى لن أعود لذكرى ماضية ، ولن اسمح لأى شيء
بأن يأخذنى منك ولو خطيئة بمثل أضعافها فأخذت قبله كما لم
تقبله سابقا ، حتى دخل عليهما ابناءهما

- الله الله انتم فاكرين نفسكم لسة مراهقين (هكذا خاطبهم ابنتهم
الأصغر) بينما توأمته ألقت بنفسها بينهما تمنى قصة حب
كمثلهما ، ووقف الأكبر بالباب ينظر إليهما فهو يعرف سر
الخطيئة فانضم لأخواته بين أحضانهما لما دعنته أمه

ثم أبلغهم والدهم بقرارهما اعتزال العمل وترك الشركة لهم
لإدارتها وأنهما سيستمتعان ببقية حياتهما معا ، وقد سرت في
ثلاثتهم أمنية أن تنتهي ذكرى تلك الخطيئة ، ولكن كيف ؟ ومتى ؟
وما الذي تخبيه الأيام ؟

تمت